**نظرية الفن للمجتمع، ونظرية الفن للفن**

**أولاً/ نظرية الفن للمجتمع أو الأدب للمجتمع**

* الفن أو الادب مؤسسة اجتماعية، اداتها اللغة، وهي من خلق المجتمع. والوسائل الأدبية التقليدية اجتماعية في صميم طبيعتها. إنها اعراق وأصول لا يمكن أن تبزغ إلّا في مجتمع.
* أضف الى ذلك أن الأدب يمثل الحياة، والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة.
* وإذا كان العمل الادبي محاكاة داخلية أو ذاتية. فالأديب نفسه عضو في مجتمع، منغمس في وضع اجتماعي معيّن، ويتلقى نوعاً من الاعتراف الاجتماعي والمكافأة. كما أنّه يخاطب جمهوراً.
* الادب يظهر على الدوام في صلةٍ متينة بمؤسسات اجتماعية معينة.
* في المجتمع البدائي لا نكاد نميّز الشعر من العمل أو اللهو أو السحر او الشعائر والطقوس
* كما أنّ للادب وظيفة اجتماعية أو فائدة لا يمكن أن تكون فردية بحت.
* على هذا فإنّ الكثرة الكاثرة من المسائل التي تطرحها الدراسة الادبية هي مسائل اجتماعية على نحوٍ ضمني أو كلّي: مسائل الاعراف والتقاليد، قواعد الادب وانواعه، رموزه وأساطيره.

**الأساس الفلسفي للنظرية**

ترجع جذور هذه النظرية الى الى زمن بعيد، زمن الفلاسفة الاغريق.

**فسقراط** هو أول من ربط بين الفن والمنفعة والاخلاق، فالجميل عنده هو ما يحقق منفعة أو خيراً عاماً.

**وأفلاطون** ربط بين الفن والحقيقة، ورأى في الفن اداة مهمة لتهذيب النفس البشرية ورقي الحياة الاجتماعية؛ ولهذا طرد الفنانين من جمهوريته؛ لأنه وجدهم لا يصورون الحقيقة التي تتمثل في عالم المُثُل، وانّما يحاكون عالم الظاهري فيزخر فنهم بالأوهام.

وفي العصر الحديث نجد الروائي الروسي **تولستوي** من أكبر دعاة هذه النظرية في كتابه( ما الفن؟) الذي أكد فيه الاتجاه الاجتماعي الهادف للفن ورأى فيه خير وسيلة لتحقيق الترابط بين أفراد المجتمع وأداة مهمة للاصلاح الاجتماعي والاخلاقي.

وكذلك دعت الى هذه النظرية بعض المدارس والاتجاهات الفنية والادبية مثل **الواقعية الاشتراكية** وكذلك **الوجودية** التي يمثلها **جان بول سارتر** الذي طالب الاديب( الروائي والمسرحي) بالالتزام، أي تبني قضايا الحق والحرية والعدل ومحاربة الظلم والاستغلال في العالم كله.

**الحجج التي تستند إليها النظرية**

1. جذور الفن اجتماعية وليست فردية. إذ نشا الفن من الطقوس التي كانت تمارسها القبائل البداية، وكان يجتمع فيها الرقص والغناء والموسيقا والشعر. وكانت تلك الطقوس تعبر عن تطلعاتها واحلامها في السيطرة على الطبيعة واخضاعها لرغباتها. فإذا كان صادراً عن الجماعة، فلِمَ لا يكون معبّراً عن أهداف الجماعة، داعياً الى مُثُلها، ساعياً الى خدمتها؟
2. لا يكتب الاديب إلاّ ليوصل أراءه وأفكاره ومشاعره للجماعة، حتى ترى ما يراه. وهو لا يحس بالراحة والطمأنينة إلاّ اذا وجد أن المجتمع قد تقبّل واستساغ أدبه. وهكذا نرى ان الاديب لا يكتب لنفسه بل للمجتمع. فإذا كان الاديب يكتب للمجتمع فلِمَ لا يكون ما يكتبه في خدمة الجماعة؟

**الاعتراضات الموجَّهَة للنظرية**

1. المعايير الاجتماعية والاخلاقية متغيرة وليست ثابتة. فهي تختلف من عصر الى اخر، وربط الادب والفن بهذه المعايير يعني جعلهما مرتبطين بقيم غير ثابتة. وعند ذاك يصبح الادب والفن مفتقرين الى عنصر الخلود الذي يطمح اليه الادب والفن في كل زمان ومكان.
2. الالتزام الاجتماعي حين يُفرَض فرضاً على الاديب أو الفنان يؤدي الى عقم الادب والفن. إذ أنّ الفن والادب لا يزدهران الاّ في اجواء تسودها الحرية.

**الخلاصة**

الأدب تعبير عن المجتمع يعكس كالمرآة كل ما في المجتمع من ظواهر وقيم واخلاق.

ويذهب دعاة هذه النظرية الى أنّ للفن والادب أهدافاً اجتماعية واخلاقية تتمثل في التعبير عن مطالب المجتمع ومثله العليا والعمل على رقيّ المجتمع وتهذيب النفس الانسانية وتوجهها نحو الحق والخير والفضائل. لهذا يقوّم هولاء الادب على وفق ما فيه من مضمون اجتماعي واخلاقي يفيد الانسان والمجتمع. فالتأثير الاجتماعي والاخلاقي هو مقياس جودته.

**ثانياً/ نظرية الفن للفن**

* يذهب دعاة هذه النظرية الى أنّ الفن فعالية انسانية ذاتية لها قوانينها الذاتية التي لا ترتبط بأي قانون اجتماعي او اخلاقي. فالفن عندهم يكفي نفسه بنفسه، ولا هدف له إلاّ ذاته. إذ ليست لفن غاية او وظيفة اجتماعية او اخلاقية، ووظيفته الوحيدة إن كانت له وظيف هي إثارة الجمال.
* ظهر هذا المبدأ الى الوجود كنظرية في منتصف القرن التاسع عشر، ولكن له بدايات في القرن الثامن عشر، ويعود الى الوراء الى عهد اليونان.
* ظهر المبدأ كردّ فعلٍ على النزعة الواقعية التي سادت في ذلك العصر.
* نبّهت هذه النظرية إلى أنّ الفن ليس مجرد تصويرٍ للواقع، وأنّ مضمون الفن وشكله ليسا شيئاً واحداً، وأنّ الاشياء الجميلة بعامة، والاعمال الفنية بخاصة تتميز عن الاشياء الاخرى المعروفة بشكلها الجميل.
* فالكاتب الواقعي يعطينا المنظر او الموقف كما تراه العين( ليس له اختيار)، بينما ينطوي الفن على الاختيار.
* يجب التمييز بين الواقعية التي تُفهَم من حيث هي محاكاة حرفية للواقع، والواقعية التي تُفهَم من حيث هي تصوير لمناظر ومشاهد من الحياة المنحطّة. فالواقعية( على الاساس الثاني) مذهبٌ ياخذ على عاتقه تصوير الجانب القاتم من الحياة. ومن ثَمَّ تقف نظرية الفن للفن لتجلو الجانب الاخر من الحياة( جانب الجمال). فمهمّة الفنان هي أن يقدّم لنا صوراً جميلة متقنة. ومن هنا يأتي الاهتمام بالشكل والاحتفال بالعناصر التي تضمن جماله.
* إذن الواقعية= تصوير الحياة القاتمة( المضمون)

الفن للفن= تصوير الحياة بشكلٍ جميل( الشكل)

**الأساس الفلسفي للنظرية**

* هذه النظرية قائمة أساساً على استاتيكا كانت**(kant)** الذي كان أول من جعل فكرة الجمال متعارضة مع فكرة المنفعة وفكرة الكمال، فردّ الجمال الى النشاط المجرد عن الغرض، المنزّه عن الفائدة أو المنفعة.

**Kant** : أرجع الفن الى نوع من اللعب الحرّ يقوم به الخيال

* **سبنسر وشيلر**: الفن نوع من اللعب واللهو، ولكن ليس لعباً مادياً واقعياً أو كالاحلام العابثة طليقة الخيال. إنه لعب روحي. يقول سبنسر: إنّ النافع يصير جميلاً عندما يكفّ عن أن يكون نافعاً. مثل( قلعة مهدّمة لا نفع فيها ولكنها مكانٌ مناسب للرحلات السياحية أو التأمل أو موضوعٌ صالح لصورة تُعَلَّقُ على حائط غرفة الاستقبال).

ويضيف: ربما كان من التناقض ان يكون الشيء النافع جميلاً؛ لأنه لا يصل الى مرحلة الجمال-وهي مرحلة أرقى- إلاّ بعد أن يتخلص من النفع الذي فيه.

* **شوبنهاور**: الفن نوع سامٍ من اللعب وظيفته أن يعزِّينا عن مبائس الوجود بضع لحظات.
* **تيوفيل غوتييه**( وهو الذي صاغ شعار الفن للفن): الادب غايةٌ في ذاته، لا مجرد وسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة. ويستطيع الادب ان يصل الى ذلك بفضل صياغته الخاصة المتمثلة في الصور والاخيلة والموسيقا.
* **غوستاف فلوبير**: إنّ البيت الجميل الذي لا يحتوي على أي معنى خير من بيتٍ أقل جمالاً وإن احتوى على معنى.
* أحد الفلاسفة: يُراد من الشاعر حُسن الكلام، والصدق يُراد من الانبياء

**الحجج التي تستند إليها النظرية**

1. إنّ التجربة الفنية أو الأدبية غاية في ذاتها، وليست وسيلةً لأي شيء اخر
2. إنّ القيم الادبية( الجمالية) كامنةٌ في الأدب( قيم سابقة)، وهنالك قيم أخرى ثانوية وليست قيماً أدبية لاحقة بالأدب
3. إنّ الاهتمام بالقيم الاخرى يقلل من القيمة الأدبية أو الجمالية.

**الاعتراضات الموجَّهَة للنظرية**

1. إنّها تعمل على فصل الأدب أو الفن عن الحياة
2. الاهتمام بالشكل دون المحتوى(المضمون) قد يضرّ العمل الادبي كثيراً، وبخاصة إذا بُولِغ في الاهتمام بالشكل، ويجعل العمل الأدبي زخارف شكلية بعيدة عن الصدق.

**الخلاصة**

الفن للفن- إذن- اتجاهٌ ظهر في أوروبا في منتصف القرن التاسع عشر كان يهدف الى إبعاد العمل الفني عن الغايات التعليمية والأخلاقية وتحريره من أي إلزامٍ من هذا النوع، وتأسس على فكرة الجمال الحرّ التي قال بها Kant .

الجمال الحرّ الذي لايستهدف المنفعة أو الاخلاق هو غاية العمل الفني. ويتبع ذلك أن يكون النشاط الفني نشاطاً حرّاً. ومن هنا يمكن مشابهته بالنشاط الذي يبذل في حالة اللعب او الاحلام.

التعليم والاخلاق -إذن- ليسا غاية العمل الفني، بل الجمال هو الغاية ولا إلزام مطلقاً للفن أن يكون نافعاً من هذه الوجهة إلّا اذا تنازلنا عن حقيقته الجوهرية، وهي أنه جميل.

بالغ أصحاب هذا الاتجاه بالشكل كثيراً، وانبثق من اتجاهاته مذهب خاص في الشعر سمي المذهب البرناسي، فظهر التجويد في الشكل والصورة بعيدا عن الصدق

**خلاصة النظريتين:**

* الفن للمجتمع تمثّل الرؤية الواقعية للأدب، بينما الفن للفن تمثّل الرؤية الفنية للأدب
* نظرية الفن للمجتمع تزدهر في فترة الاضطرابات والثورات، بينما الفن للفن فتزدهر في حالات الرفاه الاقتصادي وفترات الاستقرار.